*ظنَّ بين الإعمال والإهمال*

*بحث في النحو*

*إعداد/ شيماء عبد المجيد محمد زهران*

*قسم اللغة العربية*

*كلية العلوم الاسلامية – جامعة المدينة العالمية*

شاه علم - ماليزيا

*shaimaa.abdelmajeed@mediu.ws*

**خلاصة—هذا البحث يبحث في** ظنَّ بين الإعمال والإهمال.

*الكلمات المفتاحية: الأفعال، العرب، الأساليب*

# ***المقدمة***

معرفة أسس ظنَّ بين الإعمال والإهمال، : ذكر سيبويه أفعال باب " الأفعال التي تستعمل وتلغى" مسندة إلى أفعالها، هذه الأفعال. ومعنى ذلك: أنَّ الرجل لم يقل: ظن، وحسب، وخال، وأرى، ورأى، وزعم. وإنما قال: ظننتُ، وحسبتُ، أي: أنه ذكرها منسوبة إلى فاعليها، الأفعال منسوبة إلى الفاعلين.

1. *المقالة*

هذا باب: الأفعال التي تستعمل وتلغى.

بهذا وضع سيبويه العنوان الذي طفنا حوله، ونحن الآن في تطبيقات فيه هي النحو ذاته؛ ذلك لأنَّ النحو باعتباره قواعد صماء لا يسمن ولا يغني من علم، ولا يعين لسانًا على صحة، ولا يصوب من خطأ، ولا يأخذ بعنان، إلى حيث الأمان.

من ثم، كان لزامًا علينا أن نقرأ الكتاب على رويّة فهو كما وصفه شيخنا المرحوم محمد بن عبد الخالق عضيمة: "كالدوحة الباسقة، وجميع ما ألف بعده بمثابة الغصون له والفروع، فأكرم بدوحتنا الباسقة، وأكرم بفروعها وغصونها".

لو سألتك هذا السؤال: ما سر بناء تُستعمل وتُلغى للمجهول في عنوان الباب؟

الحق أنَّك تتأمل قليلًا، ثم تنظر في الأصل الأصيل الذي يستعمل فيه الفعل الذي يكون مع الفاعل أصلي الصيغة، إذن فالأصل الأصيل لـ"تستعمل" يستعملها المتكلم، والأصل الأصيل لـ"تلغى"، يلغيها المتكلم.

معنى ذلك أنَّ سيبويه يراعي في العنوان جانبين:

الجانب الأول: جانب المتكلم.

الجانب الثاني: جانب الكلام.

ومعنى الربط بين الجانبين أنَّه لا متكلم بلا كلام، ولا كلام إلا بمتكلم، فما أشد ارتباط المتكلم بكلامه، والمتكلم قاصد والكلام وسيلة للمقصود. فانظر كيف جمع سيبويه بين حي ينطق، وبين حي منطوق به، في عنوانٍ قليلة كلماته، وهذا باب: الأفعال التي تستعمل وتلغى.

أي: هذا باب: الأفعال التي تستعملها -أنت أيها المتحدث بالعربية- والتي تلغيها أنت -أيها المريد إلغاءها- ونحن نريك هذه الأفعال ونكشف اللثام عن حقيقة إعمالها حتى تُعملها، وعن حقيقة إلغائها حتى تلغيها.

ما الأفعال التي ذكرها سيبويه في هذا الباب؟

الجواب: إنها ظننت، وحسبت، وخلت، وأُريت، ورأيت، وزعمت، وما يتصرف من أفعالهن.

ما سر قوله: أفعالهن، بنون النسوة؟

الجواب: سيبويه يقول: وما يتصرف من أفعالهن. فهل يجوز لنا من بعده أن نقول: وما يتصرف من أفعالها؟

الجواب: نعم، ولا يتعجلن أحد ويقول: قال سيبويه: من أفعالهن، فلا يجوز أبدًا أن أقول من أفعالها، فيذكرنا بهذا الأحمق الذي وجده الفراء ذات يوم في السوق، فسأله: بكم تبيع الثوب؟ فقال الأحمق: بدرهمان. فقال الفراء: لا تقل هذا، وإنما قل: بدرهمين، وإذا بالأحمق يثور في وجه العلامة الفراء ويقول له: ما شأنك بهذا وما سبيلك إليه، لقد سمعت سيبويه يقول: ثمنُها درهمان. فضحك الفراء وقال: أيشٍ؛ تغير وجه الكلام.

ومن قول الفراء: تغير وجه الكلام يستفاد، وأنت خير من يستفيد يا باحث عن المعدن في أصله، تعلم أنه يستفاد من قول سيبويه: ثمنها درهمان. أن الكلام صحيح للرفع، فإذا ما تغير وجه الكلام، فدخل عامل يقتضي جره؛ فكان على الأحمق أن يقول كما قال الفراء: بدرهمين؛ لأن الباء جارة. اللهم إلا إذا أتى أحدكم بما لم يكن يعرفه ذلك الأحمق، فخرّج كلامه على لغة من يلزم المثنى الألف في الأحوال الثلاثة، وهذا مجال خصيب رحيب جميل.

المهم أنك تستطيع أن تقول: من أفعالها، وتستطيع أن تحاكي سيبويه فتقول: من أفعالهن بنون النسوة. فما القاعدة؟

القاعدة: أن غير العاقل يعبر عنه بنون النسوة أو بهاء الغيبة المؤنثة.

المهم ألا تقول: وما يتصرف من أفعالهم. فهذا لا يجوز بحال؛ لأنك يمكنك أن تقول: ما يتصرف من أفعال العرب كثير، فإذا بدأت بالعرب قلت: يتصرف من أفعالهم: كان، مثلًا فمضارعه يكون، وأمره كن، ومصدره كون، ويعمل المصدر عمل الفعل، كما قال الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ببذل وحلم ساد في قومه الفتى | \* | وكونك إياه عليك يسير |

من الطويل.

فقال: وكونك إياه، فرفع ونصب إياه، وأضيف اسمه إليه من باب إضافة المعمول إلى العامل، كما في قوله تعالى: {ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ} [البقرة: 251] إذن، يتصرف من أفعالهم، لماذا؟

لأنَّك تعود بالضمير إلى العرب، والعرب عقلاء، ولكن إذا قلت: من أفعالهن. وأنت تقصد ما قصده سيبويه من: ظننت، وحسبت، وخلت، وأريت، ورأيت، وزعمت، وما يتصرف من أفعالهن. أي: من أفعال هذه الكلمات، والكلمات غير عاقلة.

صحيح أن المتكلم يبث فيها الحياة، ويزرع فيها الربيعَ، أو يميتُها لا أماته الله إلا جابرًا كسرها وخاطرها ومحييًا كل ما فيها آمين.

إذن، القاعدة في أسلوب الإمام، التي تحتذى: أن يعبر عن غير العاقل بنون النسوة، أو بهاء المؤنثة الغائبة.

أما السؤال الذي نبهتك إليه مرتين، فهو: كيف ذكر سيبويه أفعال الباب؟

ولتوضيح السؤال، قبل الجواب، أقول: ذكر سيبويه أفعال الباب مسندة إلى أفعالها، هذه الأفعال. ومعنى ذلك: أنَّ الرجل لم يقل: ظن، وحسب، وخال، وأرى، ورأى، وزعم. وإنما قال: ظننتُ، وحسبتُ، أي: أنه ذكرها منسوبة إلى فاعليها، الأفعال منسوبة إلى الفاعلين.

فلماذا آثر سيبويه هذا اللون من الذكر للأفعال؟

فلماذا لم يقل: هذا باب الأفعال التي تستعمل وتلغى، وهي ظن وحسب وخال وأرى؟

ذكر سيبويه: ظننتُ وحسبتُ وخلتُ وأريتُ. وآثر تاء الفاعل، وذلك لوجهين:

الوجه الأول: الاختصار؛ لأنَّ قوله: ظننتُ أخصر من قوله: ظن عبد الله؛ ولأن قوله: حسبتُ أخصر من قوله: حسب عبد الله.

الوجه الثاني: أنه لم يرد سرد الأفعال، وإنما أن أراد أن يربط الفعل بفاعله؛ لأن أقل ما يتألف منه الكلام لفظان أو لفظتان أو كلمتان، إما أن يكون من اسمين وإما أن يكون من فعل واسم. قام محمد؛ من فعل واسم، محمد مجتهد؛ من اسمين، هذا هو الكلام الذي تتم به الفائدة.

لماذا قال سيبويه: ظننتُ، ولم يقل: ظننت عبد الله مسافرًا، أو ظننت عبد الله قائمًا، أو حسبت عبد الله قائمًا، فلماذا اكتفى بذكر الفعل والفاعل فقال: ظننت، وحسبت، وخلت، وأريت، ورأيت، وزعمت؟

الجواب: أنه بمثابة التشويق، كأنه يشوقك إلى هذه الأفعال، ويأتي تشويقه مزيدًا فيه، كأنه أضاف حلوًا على حلو.

ثم يستطرد من بعد ذلك؛ فيبين الأساليب تامة؛ مستعملة ومهملة.

فنحن أمام مدرسة كان أول من وضع لبناتها سيبويه، لكن أحدًا من المحدثين لا يذكر ذلك إلا من رحم الله تعالى.

# المراجع والمصادر

1. سيبويه، عمرو بن عثمان سيبويه (الكتاب) ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، 1991م
2. المبرد، محمد بن يزيد المبرد (المقتضب)، دار الكتب العلمية، 2000م
3. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح التسهيل)، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1990م
4. القفطي، جمال الدين علي بن يوسف القفطي (أنباه الرواة على أنباه النحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، 1950م
5. بن كثير، إسماعيل بن كثير (طبقات الشافعية)، دار المدار الإسلامي للتوزيع، 2003م
6. الحنبلي، ابن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، سوريا، دار ابن كثير، 1986م
7. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد الأنباري (الإنصاف في مسائل الخلاف)، دار الكتب العلمية، 2007م
8. الأنباري، أبو البركات بن الأنباري (البيان في غريب إعراب القرآن)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م
9. الأنصاري، جمال الدين بن هشام الأنصاري (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م
10. الأشموني، علي بن محمد الأشموني (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك)، دار الكتب العلمية، 1998م
11. بن جني، ابي الفتح عثمان بن جني (الخصائص)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م
12. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح الكافية الشافية)، دار الكتب العلمية، 2000م
13. الشافعي، محمد بن علي الصبان الشافعي (حاشية الصبان على شرح الأشموني)، دار الكتب العلمية، 1997م
14. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964م
15. الطنطاوي، محمد الطنطاوي (نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م
16. الأستراباذي، محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (شرح الرضي على الكافية)، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، 1978م
17. بن يعيش، يعيش بن علي بن أبي يسار بن يعيش (شرح المفصل)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.
18. بن منظور، محمد بن مكرم بن منظور (لسان العرب)، بيروت، دار صادر، 1970م
19. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (اللباب في علل البناء والإعراب)، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م
20. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع)، دار الكتب العلمية، 1997م
21. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن عليّ بن حيان الأندلسي (تفسير البحر المحيط)، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ